من الأخذ بعين الاعتبار أنّ المجموعة هي مجموعة من الأفراد لكل منهم أناه، ويجمع هؤلاء شيء ما يبرر إطلاق اسم المجموعة عليهم. وبناء عليه، لا يمكن البحث في حركة المجتمع بدون فهم حركة أفراده. هنا تبرز السيكولوجيا كأداة لا غنى عنها في الحقل السوسيولوجي.

ويوضح أنّ الصراع الطائفي وانتشار الأيديولوجيا، في إطار «الربيع العربي» عرّى هذا النقص. وعلى الرغم من محاولة المفكرين فهم هذه الظاهرة، وقف في طريقهم نقص الوعي بدوافع الأنا وبدوافع السلوك البشري عائقاً في الوصول لتحديد عوامل حركة المجتمع كوعاء لأنواته. إذن، لا يكفي البحث في الأسباب الاقتصادية أو السياسية، ولا تغني فلسفة الواقع عن الخوض الإمبريقي في محركات السلوك البشري. طبعاً، لابد هنا من التذكير بأنّ البحث الإمبريقي فيما يسمى سيكولوجيا المجتمع، ما يزال يافعاً، ولم يتحصل، هذا الفرع من البحث، على الخبرة التراكمية الكافية ليصبح عالمياً بعد.

ويذكّر عساف هنا بأنّ الهوية المجتمعية هي جزء من الهوية الفردية للشخص وليس العكس. ولابد من القول، إنّ دراسة الأنا ستبقى مقصورة ما برح ينظر إليها بدلالة الآخر.

وعودة إلى سؤال المجلة، يقول الباحث: إنّ معطيات الواقع هي ما تفرض المسائل الفكرية، وقد دفعت الحروب التي اجتاحت أوروبا في القرن الماضي الباحثين للإنتاج في هذا الحقل، ولكن لم يقف البحث هناك بانتهاء الحرب. وكما بدأت الكثير من المسائل الفكرية باعتراض فهمنا مع بداية «الربيع العربي»، فإنّ المسيرة لن تنتهي لا في الصيف ولا في الخريف. إذن، لا بد من مقاربة المسألة بطريقة نقدية ومنهجية تتجاوز الأطر المحدّدة مسبقاً، سواء أكانت دينية أو قومية.

د. مولود أمغار
(باحث من المغرب)

الربيع الدّيمقراطي والموضوعات المرتبطة به شكلت ٦٥ ٪ من الدّراسات والأبحاث التي نشرت في المجلات المحكّمة

التعميق النظري والأبحاث الميدانية

الباحث المغربي في علم الاجتماع د. مولود أمغار يطلق على «الثورات العربية» تسمية «الربيع الديمقراطي»، ويرى أنّه، شكّل فرصة مواتية للباحثين في العلوم الاجتماعية لإعادة دراسة مجتمعاتهم من مداخل متعددة وبمقاربات جديدة، لا سيما وأنّ هذا «الربيع» لم يؤدِّ فقط إلى سقوط بعض الأنظمة العربية؛ بل أدّى أيضاً إلى سقوط بعض المفاهيم والأطر النظرية التي كانت تعتبر أنّ المناطق العربية والمغاربية مستعصية على التغيير والديمقراطية.

ويقول الباحث: إنّ هذا الحدث، الذي شكّل صدمة للعديد من الباحثين الذين اطمأنوا بشكل كبير «للمقاربة الثقافية»، التي تعتبر أنّ التسلط والاستبداد جزء لا يتجزأ من أنظمة المجتمعات العربية والمغاربية، دفع بالعديد من الباحثين في علم الاجتماع إلى إعادة النظر في هذه المقاربة